سِلْسِلَةُ: إِتْحَافِ الحَاضِرِ والبَادِي بِتَفْرِيغِ أَشْرِطَةِ العَلَّامَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي (٦٥/ ٧)

تَفْرِيْغُ شَرِيْطٍ -لِأَوَّلِ مَرَّةٍ يُنْشَرُ- بِعُنْوَانِ:

«الكَلِمَاتُ الوَعْظِيَّةُ وَالتَّوْجِيْهَاتُ المَنْهَجِيَّةُ» (٧/ ١٤)

«صِفَةُ الغُرَبَاءِ»

لِفَضِيلَةِ الشَّيخِ العَلَّامَةِ

د. مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي المَدْخَلِي -حَفِظَهُ اللهُ-

المدرّس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا

ألقاها فضيلته قديماً في مصلى كلية الحديث بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

اعْتِنَاءُ

أَبِي قُصَيٍّ المَدَنِيِّ

-عَفَا اللهُ عَنْهُ وعَنْ والِدَيْهِ ومَشَايِخِه وَالمُسْلِمِيْنَ أَجْمَعِيْنَ-

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة بعنوان: «صفة الغرباء»

لفضيلة الشيخ محمد بن هادي المدخلي -حفظه الله-(١)

«الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أمَّا بعد:

معشـــر الإخوان: تعلمون ما جاء عن رسول الله ﷺ في وصف الغرباء في آخر الزمان، وما أعدَّه الله ﷻ لهم في قول رسول الله ﷺ: «**فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**»(٢).

والغربة -يا عباد الله- أقسـام ذكرها العلَّامة ابن القيم، والذي يهمنا منها قسـم واحد؛ وهي غربة أهل الحق والخير والفضل والصلاح والاستقامة بين أهل الباطل، هذا القسم وهم الغرباء حقاً، والمحمودون حقاً، والذين شهد لهم رسول الله ﷺ بهذا.

و(طوبى) اسم من أسماء الجنة، وقيل شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مسافة كذا وكذا لا يقطعها.

والحاصل معشر الإخوان: إنَّ أهل الحق الغرباء غربتهم تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسـم الأول: أن يكون هذا الغريب صـالحاً في نفسـه، منجمعاً على نفسـه، همتُه وغايته وقصده إصلاح نفسه، والمحافظة عليها، والتمسك بما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ، والخوف مما عدا ذلك من المخالفات، وهذا على خير، ولكنه في أدنى مراتب غربة أهل الخير والصلاح.

ويليه في هذا الرتبة الثانية: وهم الذين يصـلحون ما أفسـد الناس، ويقومون بتسـوية ما حَرَفَه الناس، وما غَيَّره الناس، ولكنهم يَنزوون عن مواجهة الناس أمراً ونهياً، ويَنزوون عن

---

(١) ألقاها فضيلته قديماً في مصلى كلية الحديث بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (١٤٥).

تجريد السيف والسِّنان والبيان في مواجهة أهل الباطل، وتبصير خلق الله من أهل الإيمان بالباطل بجميع صنوفه وأنواعه، يهمهم الإصلاح من غير أن يجابهوا أهل الباطل، ويواجهوهم، ويجالدوهم، ويستعينوا بالله على ذلك، فهؤلاء على خير، ولكنهم في رتبة ثانية.

وأما الرتبة الأولى فهي رتبة أهل الغربة الحقيقية والفضل الكامل بحول الله وقوته، غربة أهل السُّنَّة والجماعة الذين يبينون الحق، وينطقون، به ويدعون إليه، ويصبرون على الأذى فيه، وهؤلاء هم الذين قال فيهم الله ﷻ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر:١-٣].

آمنوا في أنفسهم، استجابوا لداعي الله ﷻ كما قال الجن لما دعوا إخوانهم: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٣٠ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف:٢٩-٣١]، آمنوا في أنفسهم، ودعوا غيرهم، لكن إذا جاءت الدعوة هذه والإصلاح؛ ستجد المعارض أمامك من أصحاب الأهواء الباطلة، ومن أصحاب الأديان الفاسدة من أهل الشرك والكفر، ومن أهل الأهواء والبدع، ومن أصحاب الفسق -عافانا الله وإياكم من ذلك كله-، وهؤلاء لا يرضون ببيان باطلهم، ونقده، ومواجهته، وتحذير الناس منه، وتنفيرهم منه، والإكثار من ذكرهم، وعيبهم، وذمهم، حتى يحصل بيان أمرهم لعامة المسلمين فيحذروهم، **هذا الصنف الثالث من هؤلاء الغرباء أهل الخير والفضل والصلاح**؛ هم أعلى الأقسام على الإطلاق، وهم الذين إذا رأوا إعراض غيرهم عن بيان الله بيَّنوه، وهم الذين إذا رأوا سكوت غيرهم عنه نطقوا به.

ولذلك يقول شيخ شيوخنا الشيخ العلَّامة حافظ بن أحمد الحكمي رَحِمَهُ اللَّهُ:

يَا غُرْبَةَ الدِّيْنِ والْمُسْتَمْسِكيْنَ بِهِ كَقَابِضِ الجَمْرِ صَبْرَاً وَهْوَ يَتَّقِدُ[1]

كما جاء ذلك في الحديث الصحيح: «**القَابِضُ عَلَى دِيْنِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الجَمْرِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ**»[2]، (كَقَابِضِ الجَمْرِ صَبْرَاً وَهْوَ يَتَّقِدُ)، كونه يصلح بين أقوام فاسدين هذه نعمة عظيمة.

يَا غُرْبَةَ الدِّيْنِ والْمُسْتَمْسِكيْنَ بِهِ كَقَابِضِ الجَمْرِ صَبْرَاً وَهْوَ يَتَّقِدُ

الْمُقْبِلِيْنَ عَلَيْهِ عِنْدَ غُرْبَتِهِ[3] وَالْمُصْلِحِيْنَ إِذا مَا غَيْرُهُمْ فَسَدُوا

هذا صنف، ثم صنف ثالث جاء به ووصفهم بأوصاف فقال:

إِنْ أَعْرَضَ النَّاسُ عَنْ تِبْيَانِهِ نَطَقُوا بِهِ وَإِنْ أَحْجَمُوا عَنْ نَصْرِهِ نَهَدُوا

فهؤلاء هم أنصار رسول الله ﷺ، فهم أنصاره في عهده وحياته من أهل يثرب، وهم أنصار دينه من بعد وفاته -عليه الصلاة والسلام- في كل زمان ومكان، ولذلك جاء وصفهم في الطائفة الناجية المنصورة، الذين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة، فهم ظاهرون على غيرهم، إن قاتلوا ظهروا بالسيف والسِّنان، وإن بيَّنوا وكشفوا ظهروا بالحجة والبرهان، وإن غلبهم عدوهم في وقت من الأوقات أو قطر من الأقطار بالسيف والسِّنان؛ لم يغلبهم بالحجة والبرهان، وهذا كما حصل في عهد إمام الأمة إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل في أول أمره -رحمه الله تعالى ورضي عنه-، فرحمه الله كان الحُكَّام خصومه، ظهروا عليه بالسيف والسِّنان، لكنه ظهر عليهم بالحجة والبرهان، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت:٦٩].

---

(١) من منظومته: «الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة».

(٢) لعل الشيخ -حفظه الله- يشير إلى حديث: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالقَابِضِ عَلَى الجَمْرِ»، أخرجه الترمذي في «جامعه» برقم (٢٢٦٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢/ ٦٤٥) برقم (٩٥٧).

(٣) قال الشيخ هنا: يحاول أن يستمسك به في نفسه.

شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله ورضي عنه- كان علماء السوء هم خصومه، فاستعدَوْا السلطان عليه، فذاك الحُكَّام خصومه، وهذا العلماء خصومه، ولكنَّ الله أظهره عليهم بالحجة والبرهان والبيان، وأمهلهم في أخصر كتبه المختصرة «الواسطية» ما شاء الله لهم أن يُمهَلوا على أن يأتوا بحرف واحد يخالف حرفاً واحداً مما كتبه فيها في اعتقاد أهل السنة والجماعة، ولكنهم لم يجرؤوا على ذلك.

فيا معشر الإخوان: أهل السُّنَّة والجماعة على مراتب، وأفضلهم مَن قام ببيان الحق والدعوة إليه ونصرته والصبر على الأذى فيه، فهذه أفضل مراتب الغرباء في آخر الزمان، فاحرصوا على العلم بهذا، واحرصوا على العمل به، والدعوة إليه، والصبر على الأذى فيه.

واصْـبِرْ عَلى لاحِقٍ مِنْ فِتْنَةٍ وأذَى ... فِيهِ وفِي الرُّسْـلِ ذكرى فاقْتَدِهْ بِهِمِ

لَـواحِـدٌ بِـكَ يَهْـدِيـهِ الإلَـهُ يَكُـن ... خَيْرٌ غَدًا لكَ مِنْ حُمْرٍ مِن النَّعَمِ[1]

فأنتم ترون أنَّ هذه الأصناف كلها على خير، ولكن أفضلها مطلقاً مَن يقوم ببيان الحق، ونصرته، وإظهاره، وإعزازه، وتوقيره إذا أعرض عنه إخوانه من بقية أصناف الغرباء في الصنفين الآخرين، وهذا هو أفضلهم، وأشرفهم، وأعلاهم، فاحرصوا على ذلك، واحرصوا على طلب الأفضل، والأشرف، والأعلى، والأكمل، وأنتم حملة سُنَّة رسول الله ﷺ، ولكم فيه القدوة، وبه الأسوة -عليه الصلاة والسلام-.

واعلموا: أنَّ أفضل أعمالكم الجهاد في بيان السُّنَّة، ونصرتها، وإعلائها، والدعوة إليها، والذبِّ عنها.

أسأل الله ﷻ باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى؛ أن يوفقنا وإياكم للعمل بكتابه، واتِّباع سُنَّة رسوله ﷺ، والدعوة إليها، ونصرتها، والصبر على الأذى فيها،

---

(١) من منظومة الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله: «المنظومة الميمية في الوصايا والآداب العلمية».

واحتساب ذلك عند الله -جلَّ وعز-، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد».

اعْتِنَاءُ

أَبِي قُصَيٍّ المَدَنِيِّ

-عَفَا اللهُ عَنْهُ وعَنْ والِدَيْهِ ومَشَايِخِه وَالْمُسْلِمِيْنَ أَجْمَعِيْنَ-

فِي الحَادِي وَالعِشْرِيْنَ مِنْ شَهْرِ شَوَّال عَامَ سِتَّةٍ وأَرْبَعِينَ وأَرْبَعِمِئةٍ وأَلْفٍ مِنَ الهِجْرَةِ